بكنه الهمة على الله تعالى ومن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان ينقطع علايق الدنيا
بالكلية ويفرغ قلبه عنها ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه
بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار
على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ الهم مجموع القلب ولا يفرق فكره بقراءة قران ولا بالتامل في
تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شي سوى ذكر الله تعالى فلا يزال بعد
جلوسه في الخلوة قايلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك
تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره على اللسان
فيصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهياة الكلمة
ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى
هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب
رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله تعالى من رحمة
فتحها على الانبيا والاوليا بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت
مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلايق الدنيا تلمع لوامع الحق في
قلبه ويكون في ابتدايه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد
يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر
امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اوليا الله تعالى فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت
خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلا ثم استعداد
وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاه
الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الاوليا والانبيا عليهم السلام ولكن استوعروا هذا الطريق
واستبطوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر
وان حصل في حال فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال عليه السلام قلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثنا هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض
البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقايق العلوم تشبث بالقلب خيالات فاسدة
تطمين النفس اليها مدة طويلة الى ان تزول والعمر ينقضي دون النجاح فيه فكم من صوفي سلك
هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس
ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك

٢١

الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والالهام
من غير تكرار وتعليق فانا ايضا انتهي بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو
كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجا العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه
بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلما وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك
بالانتظار لما لم ينكشف لساير العلما فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين

بمثال محسوس اعلم ان عجايب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك
الحس وما ليس مدركا بالحس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى
افهام الضعفا بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق الما اليه من
فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الما
الصافي فينفجر الما من اسفل الحوض ويكون ذلك الما اصفى وادوم وقد يكون اكثر واغزر فكذلك
القلب مثل الحوض والعلم مثل الما والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم الى القلب
بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلي علما ويمكن ان تسد عنه الانهار بالخلوة
والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع
العلم من داخله فان قلت وكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا
من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشيا
مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملايكة المقربين وكما ان المهندس يصور صورة ابنية الدار
في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم
من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى
الوجود بصورته تتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من نظر الى السما والارض ثم غض
بصره يرى صورة السما والارض في خياله حتى كانه ينظر اليه ولو انعدمت السما والارض وبقي هو
لوجد صورة السما والارض كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه
حقايق الاشيا التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا
من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع
درجات في الوجود وجود في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع
وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده
العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الموجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية
بعضها اشد روحانية من بعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها
لطو

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)